أسباب عزوف طلاب الجامعة عن الدراسة في أقسام اللغة العربية بكليات التربية

د. سعد صالح عامر الحاج ـ كلية التربية الزنتان ـ جامعة الزنتان
drsaadalhaj@gmail.com

الملخص :

ثمة ظاهرة لافتة في عدد من الجامعات العربية تشير إلى ضعف إقبال الطلاب والطالبات على دراسة اللغة العربية، وهي ظاهرة تثير التساؤل أحياناً، وتثير الدهشة أحياناً أخرى. وقد كثرت الآراء والأقوال حول أسباب عزوف الطلبة عن التخصص في اللغة العربية، وقد توصل البحث من خلال شقيه النظري والميداني إلى أمرين مهمين هما:

الأول- اللغة العربية تواجه تحديات داخلية وخارجية.

الثاني- جميع أفراد العينة الذين أجري عليهم البحث يلاحظون ضعف إقبال الطلاب على دراسة اللغة العربية بالجامعات، وأن واقع أقسام اللغة العربية مريراً في كليات التربية، موضحين علاقة ذلك بالمقررات الدراسية، والأستاذ، والطالب.

المقدمة:

في البداية قد يسأل القارئ عن علاقة الأنثروبولوجيا الثقافية بعلم اللغة. العلاقة بين علم اللغة والأنثروبولوجيا علاقة وثيقة، رغم تغير صورة تلك العلاقة بينهما تغيراً ملحوظاً عبر الوقت، فقد ارتبطت الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ارتباطاً وثيقاً بعلم اللغة المقارن، ونظراً للثورة التي حدثت في الدراسات اللغوية نتيجة نظريتي التوليدية والتحويلية، أخذت العلاقة بين علم اللغة والأنثروبولوجيا بعداً جديداً.

ويُعَدُ علم اللغويات فرع من فرع الأنثروبولوجيا الثقافية يهتم بعنصر حيوي من عناصر الثقافة ألا وهي اللغة، الوسيلة الأولى للارتباط البشري وأداة نقل الأفكار أو التعبير عن الفكر بالكلمات أو الإشارات أو الرموز أو الصور أو الأشكال....إلخ. ولا شك أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما تنشأ الظواهر الاجتماعية، ويهتم علم اللغويات الوصفي بتحليل اللغات في زمن محدد ويدرس النظم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات.[1]

إن لغتنا العربية هي ركن ثابت من أركان شخصيتنا، فيحق لنا أن نفتخر ونعتز بها، ويجب علينا أن نذود عنها ونوليها عناية فائقة، ويتمثل واجبنا نحوها في المحافظة على سلامتها وتخليصها مما قد يشوبها من اللحن والعجمة، وعلينا أن لا ننظر إليها بوصفها مجموعة من الأصوات، وجملة من الألفاظ والتراكيب، بل يتعين علينا أن نعدها كائناً حياً، فنؤمن بقوتها وغزارتها ومرونتها وقدرتها على مسايرة التقدم في شتى المجالات، كما تعد مقوماً من أهم مقومات حياتنا وكياننا، فهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا والرابط الموحد بيننا، والمكون لبنية تفكيرنا والصلة بين أجيالنا، وبين كثير من الأمم.

وهي من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، والأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا، وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل. إنها تمثل خصائص الأمة، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية والموجهين لسفينتها.[2]

واليوم؛ نتيجة لما يعانيه جيلنا من بُعد عن التأصيل العلمي، وتحت الهجمة الغربية الشرسة في مختلف جوانب الحياة، تأثرت لغتنا العربية المشرقة حينما رشقت بسهام الأعداء بل والأبناء! فوصفوها بالصعوبة، ونعتوها بالغموض والطول، وحاولوا تهميشها في واقع الحياة العلمية والعملية، فقدموا عليها اللغات الأجنبية ودرسوها في كل المواد التجريبية، وتباهوا برطانة الأعاجم في كل مجال، وصدَّق أبناء المسلمين تلك المقولات، فعزفوا عن اللغة العربية وعدوها من المواد العسير فهمها، وتبرموا كثيراً عن مناهجها الدراسية، فعانى الأساتذة كثيراً من ضعف الطلاب، وصار الشباب لا سيما - طلاب العلم – بحاجة لمن يبصرهم بأهمية اللغة العربية ويحفز هممهم للإقبال عليها وتذوق حلاوتها وروعة بيانها.[3]

ونظراً لأهمية موضوع عزوف طلاب الجامعة عن الدراسة بأقسام اللغة العربية، فقد اجتهد الباحث وكتب هذا البحث المتواضع متناولاً الموضوعات التالية: اللغة العربية، فضل اللغة العربية، أهمية اللغة العربية، تحديات اللغة العربية، مشكلات تعليم اللغة العربية، نتائج البحث، التوصيات والمقترحات، المراجع.

أولاً ـ التعريف بموضوع البحث:

لا شك أن اللغة العربية في الوقت الراهن تقف أمام تحديات تحتاج إلى تكاثف علماء اللغة، والمختصين بعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم تقنيات المعلومات، بالإضافة إلى جهود وزارة التعليم، والجامعات ومراكز البحوث والدراسات، ومجامع اللغة العربية،

وعلى جميعهم العناية بهذه القضية، فاللغة القومية هي من المقومات الأساسية للشخصية العربية، والهوية القومية والانتماء في زمن تحديات العولمة.[4]

وثمة ظاهرة لافتة في عدد من الجامعات العربية تشير إلى ضعف إقبال الطلاب والطالبات على دراسة اللغة العربية، وهي ظاهرة تثير التساؤل أحياناً، وتثير الدهشة أحيانا أخرى، وقد كثرت الآراء والأقوال حول أسباب عزوف الطلبة عن التخصص في اللغة العربية.[5] فمن قائل:

- صعوبة المناهج الدراسية وطولها، وسوء تصميمها، وعدم بروز عنصر التشويق بها، وعدم ارتباطها بالواقع الذي يعيشه الطالب.
- الطالب وقدراته العلمية، وطموحاته المهنية، ومدى إدراكه لأهمية اللغة العربية.
- الأستاذ الجامعي وكفاءته العلمية، وصفاته الشخصية، وطرق التدريس التي يستخدمها.

فالجامعات هي قلب الدولة النابض بثقافتها وفكرها وتطلعاتها، وهي أساس رقيها وتقدمها، وأي تراجع أو تدهور في حالها سينعكس على المجتمع، وإن لم يظهر ذلك في المدى القريب، فسيظهر حتماً على المدى البعيد، وترتبط أقسام اللغات في كل جامعات العالم بأبعاد أكثر أهمية وعمقاً من متطلبات سوق العمل، خاصة وأن الجامعات تتجاوز في أسباب إنشائها أن تكون مراكزاً لتصدير الموظفين إلى السوق، وهذا ما ينطبق على دراسة اللغة العربية التي لا تقتصر على أن تكون وسيلة للحصول على شهادة تضمن لخريجيها وظيفة في سوق العمل، ومع كل هذا فإنَّ القسم أصبح شبه عاجز عن تحقيق الغايتين معاً.[6]

من هنا، يبدو الوقوف السلبي تجاه واقع اللغة أمراً محسوباً على علماء العربية ممن لا يدركون مغبة التنازلات غير المقبولة عن رصانتها أو عمقها وأصالتها مع تحديث مناهجها، بما يوجب التعامل بها بصورة عصرية عبر ملتقيات الفكر ومؤتمرات العلم، ومجالس الإبداع.[7]

ثانياً- أهمية البحث ومبررات اختياره:

1- يستمد البحث أهميته، من أهمية اللغة العربية كوسيلة للتواصل، وهي لغة الدين الإسلامي، ورمز هويتنا وخصوصيتنا، واتصالنا بتاريخنا.

2- تنبع أهمية البحث من خلال إيهام البعض بأن اللغة الإنجليزية أو الفرنسية لغة الحضارة والعلم والحداثة والحصول على الوظائف، واعتبار اللغة العربية رمز التخلف والقدم ويجب استبدالها.

3- ملاحظة العزوف عن تعلم اللغة العربية، والنفور من موادها، ولا سيما بين طلاب الجامعة، لذلك وجب البحث عن أسبابه وعلله، فعلى سبيل المثال كان عدد طلبة قسم اللغة العربية في كلية التربية الزنتان، للعام الجامعي 2011م-2012م يتجاوز المائة طالب وطالبة، وتقلص الرقم، خلال العام الجامعي 2019م-2020م إلى أقل من العشرين طالب وطالبة، في المقابل نجد عدد الطلبة بكل من قسم اللغة الإنجليزية ومعلم الفصل والخدمة الاجتماعية يزيد عن المائة طالب.

ثالثاً- مفاهيم البحث:

1- العزوف: يعرف مختار القاموس ع زف: عَزَفَتْ نُفْسِي عنه تُعْزِفُ عُزوفاً: زَهِدَتْ فيه وانْصَرَفتْ عنه.[8]

2- طلاب الجامعة: هم الطلاب الذين أتيحت لهم الفرصة في الوصول إلى مرحلة التعليم الجامعي، بعد اجتياز المراحل المطلوب دراستها.

3- أقسام اللغة العربية: يقصد بها _في هذا البحث_ الأقسام المعتمدة في كليات الجامعات، التي يتم التسجيل فيها وفق القوانين واللوائح المعمول بها.

رابعاً- أهداف البحث:

1- الكشف عن أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات.

2- الكشف عن العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات والمقررات الدراسية.

3- الكشف عن العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات والأستاذ.

4- الكشف عن العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات والطالب.

خامساً- تساؤلات البحث: وقد صِيغت عدة تساؤلات على النحو **التالي:**

1- ما أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات؟

2- ما العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات والمقررات الدراسية؟

3- ما العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية بالجامعات والأستاذ؟

4- ما العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات والطالب؟

سادساً- منهج البحث:

تم اختيار المنهج الوصفي التحليلي، لوصف وتحليل ظاهرة عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية.

سابعاً- وسيلة جمع البيانات:

استعان الباحث بعدد من الوسائل لجمع البيانات وفق ما يضمن له الحصول على معلومات وبيانات موضوعية وحقيقية، ويجيب على تساؤلات دراسته ويحقق أهدافها. ومن هذه الوسائل:

1- المراجع من الكتب والمجلات والدراسات السابقة، وكذلك الاستعانة بمواقع الإنترنت.

2- الاستبيان: قام الباحث بإعداد استمارة استبيان اشتملت على أربعة أقسام:

القسم الأول: البيانات الأولية.

القسم الثاني: تناول العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية في الجامعات والمقررات الدراسية.

القسم الثالث: معرفة العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة في أقسام اللغة العربية في الجامعات والأستاذ، القسم الرابع: اشتمل على العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة في أقسام اللغة العربية في الجامعات والطالب.

ثامناً- عينة البحث:

تم استهداف عينة من (40) مبحوث منهم (20) من أساتذة اللغة العربية في كليات (درج – تيجي – الزنتان – مزدة) و(20) مبحوث من طلبة كلية التربية في الزنتان، للعام الجامعي 2019 م-2020م.

تاسعاً- الإطار النظري:

1- اللغة العربية: ترتبط اللغة العربية بأفراد المجتمع العربي ارتباطاً وثيقاً، فاللغة هي الأفكار والأحاسيس والانفعالات، وهي ليست مفردات جامدة، لكنها مناخ عام مرتبط بثقافة الأمة وآدابها وعقيدتها، كما تشكل اللغة العربية أحد المحاور الرئيسة في منظومة الهوية الثقافية العربية.

ويعرف المعجم الفلسفي اللغة بأنها، نسق من الإشارات والأصوات المتعارف عليها للتعبير عن الفكر وللتواصل بين الناس ... فحيث توجد اللغة يوجد التاريخ، وحيث تكون اللغة تكون المشاركة في الشعور المشترك بالمواقف بين الناس والمشاركة في فهم الوجود مع الغير.[9]

إنَّ اللغة في المجتمع البشري وسيلة أساسية للاتصال والتعاون، إذ يستطيع الفرد بواسطتها، لا أن يستحضر خبراته الشخصية أمام الآخرين لإشراكهم بها فحسب، وإنما يتمكن بها _أيضاً_ من أن ينسّق بين أعماله وأعمال الآخرين.[10]

وتنفرد اللغة العربية، بين اللغات الحية، بأنها لغة مستمرة في إثراء الحياة على مدى قرون طويلة، فقد ظلت في تطور وبناء واتساع، مادامت حياة الناس تنمو، ومعارفهم تتطور، وآفاقهم تتوسع، وذلك كله بفضل القرآن الكريم، الذي جعل للعرب لساناً واحداً، وعقيدة واحدة، فاللغة – باعتبارها لغة العرب – تتعرض إلى ما لاقاه المسلمون العرب من المحن والخطوب والمكيدة، ولكن سرعان ما تتبوأ مكانتها من التقدير والعناية.

وقد ظلت اللغة_طوال تاريخها_ رمزاً مهماً من رموز وحدة العرب، حيث كانت تمثل الرابطة الثقافية في أسواقهم الأدبية واللغوية قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام ليضيف عنصر الاستمرارية والتلاحم العربي بنزول القرآن الكريم بتلك اللغة، التي جعلها الله وعاء لكتابة القرآن الكريم، الذي كان المثل الأعلى في التعبير البياني والإعجاز اللغوي، ثم كانت اللغة هي المستوعبة لموجات الفتوحات الإسلامية، بالتفاعل مع اللغات الأخرى عطاءً وأخذاً ونقلاً وترجمة واستيعاباً للمصطلحات المتوالية.

وقد صمدت اللغة العربية أمام الغزو الصليبي والصراعات الفكرية واللغوية والأدبية التي واجهتها، كما انتصرت على ثقافات ولغات سادت عليه وتأثرت بها، وهي تكون اليوم منتصرة على غيرها من اللغات، ومعبرة عن العلم والحضارة المعاصرة، إذ انتصر أهلها لها، فهي ليست مجرد لغة وطنية قومية، بل لغة عالمية لها علمها وأدبها وفكرها، تؤثر وتتأثر بغيرها.

ومن المعروف أن اللغة العربية هي وعاء فكر الأمة، ولا توجد أمة تكون خسارتها فادحة في ضعف لغتها واندثار أثرها مثل لغة الأمة العربية، التي سريعاً ما تترك خسارتها أثرها واضحاً في ذلك على ضعف مقوماتها، فاللغة العربية تمثل جميع المقومات الأساسية للعرب، فإذا زالت لغتهم لم يَبْقَ لهم وجود.

وإنَّ الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى، إنما هي حملة على لسانها، أو على أدبها، وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمالات، لكن الحملة على لغتنا نحن هي حملة على كلَّ شيء يعنينا، وعلى كلّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية، وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربةٍ واحدةٍ.

وفي مجال العلوم العقلية، فإن اللغة العربية كانت لغةً العلم لأزمانٍ طويلةٍ في العالم؛ حيثُ قام العلماء والباحثون والمكتشفون من المسلمين، بوضع آلاف المصطلحات العلمية والفنية في مجالات المعرفة المختلفة غير أنَّ كثيراً من الكتّاب المعاصرين لم يطلعوا على هذه المصطلحات، فبدؤوا يبحثون عن غيرها، وذلك لانقطاع الصلة بين المعاصرين وتراثهم، لأنَّ كثيراً من مصطلحاتنا ما زالت في المخطوطات التي لم تنشر. وإذا نشرت اقتصر الاطلاع فيها على المتخصصين، وليس لطلابنا في المعرفة من بديل سوى الرجوع إلى المصطلحات المترجمة، ومن هنا تتبين مسؤولية جامعاتنا، التي لا تقوم بوظيفتها في تدريس التراث والتعريف به، ممَّا أدى إلى ظاهرة الانقطاع بين المصطلحات العربية والكتاب العربي.[11]

إذاً فالعربية هي اللغة السامية الوحيدة التي قدر لها أنْ تحافظ على وجودها وأنْ تصبحَ عالميةً، وما كان ليتحقق لها ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها؛ إذ لا يمكن فهم كتاب الله تعالى الفهم الصحيح والدقيق وتذوق إعجازه اللغوي والبياني إلا بقراءته باللغة العربية.

كما أنَّ التراث الغني من العلوم الإسلامية وأمهات الكتب مكتوبة باللغة العربية، ومن هنا كان تعلم العربية هدفاً لكل المسلمين، واللغة العربية تعد من أطول اللغات عمراً، وأقرب اللغات إلى اللغة الأم، فهي اللغة الوحيدة التي حافظت على بنيتها وكتب لها البقاء دون تحريف قبل الإسلام، ثم زادها الله كرامة وعزة واختارها لغة لكتابه العزيز، وحفظت بحفظه، ثم عني بها أهلها، فليست هنالك لغة نالت من الرعاية والاهتمام والبحث مثلما نالت العربية، وليست هنالك لغة تملك التراث الذي تملكه اللغة العربية، فاللغة العربية لغة إنسانية حية، لها نظامها الصوتي والصرفي والنحوي والتركيبي، كما لألفاظها دلالاتها الخاصة بها .

وقد رأى العلماء أن كلَّ خروجٍ عن هذا النظام اللغوي المتكامل يعدُّ لحناً، سواء أكان هذا الخروج بخلط الكلام بلغة أخرى، أم باستعمال اللفظة في غير موضعها، أم في مخالفة أي عنصر أساسي من عناصر كيانها اللغوي التي يميزها عن غيرها من اللغات الإنسانية.

وتُعَدُّ اللغة العربية واحدة من اللغات العريقة في العالم الآن، بالشكل الذي نقلته إلينا المعاجم التي يرجع تاريخ تدوينها إلى نهايات القرن الثاني الهجري وبدايات القرن الثالث الهجري، ولاسيما بعد ظهور صناعة الورق في البلدان العربية.[12]

واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وبها نزل على خاتم المرسلين، فالعناية بها عناية بكتاب الله تعالى ودراستها والتمرس فيها عون على فهم آيات كتاب الله الكريم وأحاديث سيد المرسلين، فهي لغة شريعتنا الغراء وحين ندافع عنها لا ننطلق منطلق قومي أو عصبي، بل ندافع عن لغة ديننا التي بها شيدنا حضارتنا الإسلامية.[13] قال الله تعالى في كتابه الكريم: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ).[14]

إنّ اللغة العربيّة الفصحى تعدّ من أقدم اللغات، وقد نبعت أهمية اللغة العربية بسبب نزول آخر معجزة في الأرض، وهي القرآن الكريم الّذي أُنزِل على نبيّ الله تعالى مُحمّداً (عليه الصلاة والسلام) وقد عرف العرب بحبّهم للغة العربية منذ العصر الجاهلي الذي اشتهر فيه العرب بالتباهي بمدى معرفتهم لقواعد اللغة العربية، وتطبيق نواحيها الجمالية خاصةً في نظم الشعر الجاهلي.

واللغة العربية مصنفة بين أصعب خمس لغات في العالم، وتعرف بكثرة وجود القواعد اللغويّة والإملائيّة والنحوية فيها، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ العرب قد أبدعوا بالتعمّق في لغتهم، لذلك فإنّ الله تعالى أنزل القرآن باللغة العربية الفصحى، والهدف منه تحدّي العرب الّذين برعوا بلغتهم بأن يأتوا بمثله، ومن هنا تكمن الأهمية الكبرى للغة العربية.[15]

2- فضل تعلّم العربيـــــة:

يرى كثيرٌ من العلماء أنَّ الكلام بغير العربية لغير حاجة قد يورث النفاق، قال رسول الله صلَّ الله عليه وسلم: "من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنهَّ يورث النفاق" أخرجه الحاكم في المستدرك؛ فلا نعجب إذا علمنا أن من العلماء من أوجب تعلم العربية وإتقانها، قال عمر بن الخطاب: "تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم" وكرهَّ الشافعي لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها، وقال ابن تيمية: "إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، لأنَّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلاَّ بالعربية، وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب" وقال ابن فارس: "لذلك قلنا إنَّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتواهم" وفي ما خلفه لنا علماء العربية دليل على فضلها، فما خلفه ابنُ جني الذي كان متمكناً من اليونانية لأنهَّ رومي، وما خلفه أبو علي الفارسي الذي كان متمكناً من الفارسية مع أن الرومية والفارسية كانتا أزهى لغتين في زمانهما بعد العربية، كذلك كان شأن الكثير من سلف الأمة، حتى أثر عن أبي الريحان البيروني قوله: "لأن أشتم بالعربية خير من

أن أمدح بالفارسية". وقد قال الشعراء في مدح اللسان واللسن أبياتاً لا تحصى منثورة في كتب الأدب.[16] يقول الشاعر:

لُغةٌ إذا ما وقَعَتْ على أسماعنا كانت لنا بَرْداً على الأكباد

ســتَظَلُ رابطَــةً تؤلُف بينَنــا فهي الرجاءُ لناطقٍ بالضادِ[17]

كما ذكر محاسن العربية أيضاً، رجال يعرفون غيرها من اللغات الراقية وشهدوا بأنها أقرب اللغات انطباقاً على النظم الطبيعية قال المستشرق (أرنست رينان) في كتابه (تاريخ اللغات السامية): "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ..." وقال المطران يوسف داوود الموصلي: "من خواص اللغة العربية وفضائلها أنها أقرب سائر اللغات إلى قواعد المنطق، حيث إنَّ عباراتها سلسة طبيعية، يهون على الناطق صافي الفكر أن يعبر فيها عما يريد من دون تصنع وتكلف".[18]

وسُمّيت اللّغة العربيّة بلغة القرآن والسُنّة، وقال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}[19]، كل هذا يُشير إلى أهميّة اللّغة العربيّة في فهم آيات القرآن ومقاصدها ومعانيها بشكل واضح؛ لأنّ القرآن نزل بلسانٍ عربيّ فصيح ومُبِين في عصرٍ كان مُعظم النّاس يتباهون ويتفاخرون ببلاغة وفصاحة لغتهم، وإلمامهم بقواعدها، وضوابطها، وقد نزل القرآن الكريم بمعانٍ، وتراكيبَ، وجملٍ بليغة جدّاً، تحتوي على الكثير من التّشبيهات والاستعارات، والأساليب اللغويّة البليغة، ممّا أضاف لمكانة اللّغة العربيّة درجاتٍ كثيرةٍ، حتّى أصبحت اللّغة الخالدة الوحيدة في العالم.[20]

هكذا فعل سلفنا الصالح في خدمتهم للغة القرآن، أحبوها حباً عظيماً، ووهبوا لها نفوسهم، فنقحوها ووضعوا قواعدها وأصلوا نحوها وصرفها حتى بلغت درجة الكمال والصفاء، أما نحن عرب عصر التكنولوجيا والاختراقات الفضائية والثورة المعلوماتية، فقد فشا فينا التخاذل والتكاسل والتقاعس، فكنا كقول أحدهم: "فخلف من بعد السلف خلف تنكروا للغتهم واحتقروها، ونظروا إليها نظرة ازدراء واتهموها بالعجز والقصور وعدم صلاحيتها للعصر".[21]

3- أهمية اللغة العربية:

إن للغة قيمةً جوهريةً كبُرى في حياة كلّ أمةٍ، فهي الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب

والتشابه والانسجام بينهم. إنَّ القوالب اللغوية التي توضع فيها الأفكار والصور الكلامية، التي تصاغ فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقاً عن مضمونها الفكري والعاطفي.

إنَّ اللغة هي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها، وقد قال فيلسوف الألمان فيخته: "اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراصاً خاضعاً لقوانين، إنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان". ويقول فوسلر: "إن اللغة القومية وطن روحي يؤوي من حُرِمَ وطنَه على الأرض". ويقول مصطفى صادق الرافعي: "إن اللغة مظهر من مظاهر التاريخ، والتاريخ صفة الأمة، كيفما قلّبت أمر اللغة - من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها - وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها".

إنَّ الأمة العربية أمة بيان، والعمل فيها مقترن بالتعبير والقول، فللغة في حياتنا شأن كبير وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم، إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وعن طريقها وبوساطتها اتصلت الأجيال العربية جيلاً بعد جيل في عصور طويلة، وهي التي حملت الإسلام وما انبثق عنه من حضارات وثقافات، وبها توحد العرب قديماً وبها يتوحدون اليوم، ويؤلفون في هذا العالم رقعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة على تنائي الديار واختلاف الأقطار وتعدد الدول.[22] ويمكن تلخيص أهمية اللغة العربية في النقاط التالية:

1- تعد اللغة العربية عنصراً من العناصر المكونة للنسيج الكلي (للثقافة العربية الإسلامية) فهي اللغة التي نزل بها القران الكريم، وقد حافظ المسلمون على اللغة العربية وعلومها طوال التاريخ الإسلامي، وكانت هي لغة التخاطب والكتابة والثقافة في بلدان العالم الإسلامي، وفي القرنين الأخيرين انسلخت بعض الأقطار الإسلامية من لغتها العربية واتخذت لغات مغايرة مثل التركية والفارسية والإنجليزية والفرنسية وغيرها.[23]

2- تكمن أهمية اللغة العربيّة، كونها الوسيلة المتخصصة في فهم الكتاب والسنة النبويّة المطهرة، حيث تساعد اللغة العربيّة على التّعرف على أسرار الكتاب والسّنة، وفهم كافة ما جاء فيهما، إذ يُعزى الفضل في حفظ اللغة العربيّة، أنَّها لغة القرآن المحفوظ، وبالتالي فإنَّ القرآن الكريم هو سبب بقائها وانتشارها بين الأمم؛ ولذلك قيل لولا القرآن الكريم ما كانت اللغة العربيّة؛ وبناء على هذا فقد حرص السّلف على تعلم علوم اللغة العربيّة، ودعوا الجميع إلى تعلمها، والنّهل من كنزها.

3- تمتدّ أهميّة اللّغة العربيّة إلى العلاقة الوطيدة بينها وبين الثّقافة والهويّة الخاصّة بالشّعوب، فهي وسيلة التّواصل بينهم، وهي التي تُعبّر عن تفكير الأمم، والوسيلة الأولى في نشر ثقافات الأمم المُختلفة حول العالم، وبما أنّ اللّغة العربيّة هي المسؤولة عن كلّ هذه الأمور، فهي التي تُشكّل هويّة الأمّة الثقافيّة التي تُميّزها عن باقي الأمم، وذلك لأن الاعتزاز بها هو اعتزاز بالإسلام، وبتراثه الحضاريّ العظيم، وهي أيضاً عنصر من عناصر مقوّمات الأمة الإسلاميّة، وكذلك الشخصيّة الإسلاميّة.

4- إنّ اللّغة هي الوعاء الأساسي الذي يحتوي العلوم، والتّكنولوجيا، والثّقافة، والتّاريخ، والحضارة، والهوية، والمشاعر، فإن استطاعت أمّةٌ، المحافظة على لغتها ستكون من أكثر الأمم تقدُّماً وتطوّراً.

5- حَظِيَت اللّغة العربيّة بما لم تحظَ بهِ أيّةُ لُغةٍ من الاهتمام والعناية، وهذا أمرُ الله نافذٌ فيها؛ لأنّها لُغةُ القرآن الكريم، وهذا بدوره أعظم شرف وأكبرَ أهميّةٍ للّغة العربيّة؛ لأنّ الله جلّ جلاله اختارها من بين لُغات الأرض ليكون بها كلامهُ الخالد الذي أعجز بهِ من كانَ ومن سيأتي إلى قيام السّاعة، ولا يكونُ هذا الإعجاز إلاّ لكون هذهِ اللّغة تحتمل ثقل الكلام الإلهيّ وقوّة الخطاب الربّاني.[24]

6- اللغة العربية كانت من أقوى وأهم اللغات في العالم، ليس فقط في المجتمعات العربية، بل حتى عند الغرب، فقد كانوا يترجمون مختلف المعارف والعلوم العربية للاستفادة منها في مختلف الميادين، وكانت تتمتع بهذه المكانة العالية لأنها كانت تحكمها أمة قوية دينيًا واقتصاديا وسياسيًا وعسكريا، بالإضافة إلى أنها أمة متمسكة بلغتها ومتفاخرة بها.[25]

7- اللغة وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته، فهي تظهر المجتمع الإنساني على حقيقته، وهي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى إلا عبر هذه الوسيلة، كما تسهم اللغة في التفريغ النفسي للشحنات العاطفية المؤلمة، التي تعتري الإنسان أحياناً؛ ممّا يدفعه إلى الإبداع في التعبير عن هذه العواطف بروائع أدبية، تبعث في النفس الراحة والاطمئنان.

8- اللغة أداة الفكر، ويؤكد عدد كبير من العلماء بوجود علاقة عضوية بين اللغة والفكر، فقد عرفها ابن خلدون "بأنها ملكة في اللسان للتعبير عن المعاني".[26]

9- للغةِ العربيّة أهميةٌ بالغة عند المسلمين، نزل بها القرآن الكريم، فلا تقْبَلُ العباداتُ المختلفة إلا بها، كما أن هناك العديدَ من الكنائس المسيحيّة ممّا تُقيمُ شعائرَها باللغة

العربيّة، كما تجدرُ الإشارة إلى أنّ العديدَ من الأعمال الفكريّة والدينية اليهوديّة في العصور الوسطى قد دونتْ في اللغةِ العربيّة.[27]

10- اللغة العربية أكبر لغات المجموعة السامية من حيث عدد المتحدثين، وإحدى أكثر اللغات انتشارًا في العالم.[28]

11- الأهمية البيانية، تحظى هذه اللغة بأهمية بيانية؛ بسبب احتوائها على خصائص بلاغية وموسيقية وفنية.

12- الأهمية الدولية،هي لغة معترف بها على الصعيد الدولي في الأمم المتحدة.[29]

4- التحديات التي تواجه اللغة العربية:

لا شك أن اللغة كائن حي يعتريه ما يعتري أي كائن حي من عوارض، ويخضع لتقلبات الزمن نتيجة للظروف والتطورات والمتغيرات، وهكذا هو الحال مع لغتنا العربية التي أصبحت في زمننا هذا تتعرض للكثير من العقبات والمعيقات التي قد تحول دون تطورها ونموها.[30] وهي تتمثل في مجموعة من التحديات وترجع في مجملها إلى نوعين:

أولاً- التحديات الخارجية:

ليس غريباً أن تواجه لغتنا العربية تحديات متعددة في زحام المتغيَّر العالمي المتدافع من كل اتجاه، وما يظهر معه من تداعيات الهجمات الشرسة على عالمنا العربي والإسلامي بهدف النيل من تاريخه، أو تهميش كيانه أو تقسيمه إلى كيانات، أوالإيقاع به في شَرَك الشعور بالدونية أمام استعلاء الآخر الذي بات يمتلك العلم وينتج المعرفة، يتحكم في أسرار تكنولوجيا العصر بما يعني تحكمه في مصائر الضعفاء الذين طالما أرهقتهم الحروب.[31]

ففي عصر الانهيارات الكبرى، وفي ظل آليات الهيمنة العالمية تولت الثقافة الاستهلاكية – أدى مجالات تدويل النظام الرأسمالي – إلى آلية فاعلة؛ لتشويه البنى التقليدية وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وإدخال الضعف لديه، والتشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيديولوجية والدينية؛ بهدف إخضاعه نهائياً للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية، وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائياً إلى واقع الإحباط، فيقبل بالخضوع للقوى أو التصالح معها.[32]

ومن التحديات التي تواجه اللغة العربية، العولمة والغزو الفكري الوافد إلينا من الأمم الأخرى، وهذا من أكبر التحديات لأنها تتجاوز المجالات التجارية إلى مجالات أخرى تتأثر بالاقتصاد، ومنها القضايا الاجتماعية والثقافية واللغوية وهي

بدورها تروج للغات الأجنبية التي تكتسح الخصوصيات اللسانية واللغوية اكتساحاً جارفا لتشكل بذلك خطرا محدقا بالهويات الوطنية.[33]

فالهوية الثقافية _كما يرى بعض المتخصصين _قد تعاني بسبب العولمة نتيجة لاستغلال رأسمالي أو غزو علماني، والهوية المهددة هنا هي في الأساس، دين الأمة وعقيدتها، وحماية الهوية، معناه في الأساس الدفاع عن الدين، والهوية الثقافية ذات أبعاد متعانقة ومترابطة في مقدمتها الدين واللغة.

ويرى البعض أن اللغة العربية مسألة لم تصل حساسيتها إلى ما وصلت إليه حساسية الحديث عن الدين، وليست اللغة مستهدفة بالدرجة الأولى من أنصار العولمة، وهي قادرة على النمو والتجديد مثل خلايا الجسم، وتملك تراثاً ضخماً ومخزوناً كبيراً وكتاباً خالداً يحفظها من كل غزو، ويدافع عنها من كل اعتداء، مضافاً إلى ذلك التراث العظيم من الحديث النبوي الشريف والشعر العربي الفصيح.[34]

ويرى البعض الآخر، أن المؤسسة التعليمية في سبيلها إلى الزوال، وأن التعليم في إطار الثورة الإلكترونية وفي إطار ثورة الاتصالات والتقدم سيقل تأثيره وتتهمش قيمته مع الاكتشافات الحديثة، ومع تسليمنا بأن هناك اكتشافات كبيرة تؤدي إلى تغيير طرق التعليم، إلاَّ أنَّ المنظمة أو المؤسسة _ وإنْ تغيَّر دورُها، وتطور شكلها، وتنوعت أساليبها _ ستظل بالنسبة لظروفنا الخاصة حاملة وحامية للمسؤولية التاريخية التي لا يمكن أن ينوب في تحملها أحد غيرها.[35]

وسنظل نكرر ونلح في تكرارنا أن أزمة العالم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل، وإنما في الأفكار، وما لم يدرك هذا العالم تلك الحقيقة إدراكاً واضحاً، فسيظل داء الشبيبة العربية الإسلامية عضالاً، بسبب تخلفها عن ركب العالم المتقدم.

فعلى المربين في البلاد العربية والإسلامية أن يُعَلّموا الشبيبة كيف تستطيع أن تكتشف طريقاً تتصدر فيه موكب الإنسانية، ليعلموها كيف تواكب الروس أو الأمريكيين في طرائفهم، أو تتبعهم؟.[36]

ثانياً- التحديات الداخلية:

يظل متوقعاً أن تتعدد مصادر تلك التحديات الموجَّهة للغتنا وثقافتنا فتأتي – أحياناً – من الداخل ربما من فئة قليلة من أبنائها حين يحقرون شأنها إبداعاً، أو فكراً أو حديثاً أو كتابةً، أو يدعون إلى المزيد من الانخراط في شهوة (الرطانة) وغلبة (العاميات) بما يقسم الأمة فرقاً، ويوزعها طرائق قدداً، بما يزيد من حجم المسافات الفاصلة بين أبنائها

وأجيالها في وقت تبدو فيه أحج ما تكون إلى الوحدة والتلاقي والتجانس في ظل لغة قوية ميسرة وقادرة على أن تظل لغة العلم المعرفة.[37]

وفيما يتعلق بقضية التحفظ والخشية على لغتنا العربية من اللهجة العامية، فالحقيقة أن الإنسان، في واقعه يحتاج للغة العامية لحاجاته اليومية، فالعامية باقية ببقاء الإنسان، ولا مجال لإنكارها، ويرى البعض أن فيها تحقيق فائدة، وهي التعريف بطبيعة المجتمع وطريقة تفكير أفراده، لأن هموم المثقف المتعلم مختلفة عن هموم الإنسان الشعبي شبه الأمي.[38]

وكذلك من أبرز التحديات نجد التعليم الذي يمثل العامل الأساسي في نمو وتطور كل فرد، فالمدرسة تمثل بداية حياة اللغة ولكن إذا كانت هذه البداية سيئة فإن كل ما يأتي بعدها سيكون دون المستوى.

فاللغة العربية تشعر بأنها غريبة وسط أهلها ولا تستخدم بطلاقة في التعبير بالفصحى أو الكتابة بها على جميع مستويات المراحل التعليمية، وعدم التحكم في استعمال اللغة العربية، يؤدي إلى الضعف أو التدني اللغوي، فالمتأمل في واقع اللغة العربية هذه الأيام يرى أنها قد أهملت على يد أبنائها، ويصح أنْ نقول إنَّ هناك أزمةً لغويةً وضعفاً وفساداً للذوق، ولا نستطيع أن نناقش هذه المشكلة بمعزل عن عمليات تعليم اللغة العربية.

وتشهد الجامعات اليوم تدني في المستوى اللغوي لدى الطلبة في جميع الأقسام، ولكن في الحقيقة هذه الظاهرة تعود إلى المراحل التعليمية السابقة حيث يدخل الطالب الجامعة وهو غير مزود برصيد لغوي متين، ولغته العربية يؤسف لها، فالطلبة ينتقلون إلى الجامعة بميراثهم المدرسي الضعيف، فإنْ كان الطالب لا يملك أساسيات لغته فكيف له أن يكمل المرحلة الجامعية، والجامعة هي مستوى آخر من التحصيل المعرفي، فليس من وظيفتها استدراك ما فات الطلبة في المدرسة، وهل يليق بالأستاذ الجامعي أن يرُدَّ إلى تعليم الطلبة أوليات النحو والإملاء؟ هذا الضعف اللغوي قد أصبح ظاهرة جامعية، ولم تعد الجامعات قادرة على التصدي له؛ لأنه أصبح يمثل أمراً واقعاً.[39]

5- مشكلات تعليم اللغة العربية:

قضية التعليم واعتباره مفتاحاً للتقدم، قضية واردة في كلَّ المجتمعات الحديثة مع هذه التغيرات، نذكر على سبيل المثال: أن أمريكا تصدر تقريرا مشهورا، وهو تقرير أمة في خطر، نتيجة للتخلف في النظام التعليمي، وبالذات فيما يتعلق بمجال الرياضيات

والعلوم الطبيعية، فمشكلة التعليم عملية عالمية، العالم كلّه يرى أن التعليم هو المشكلة والتعليم هو الحل في نفس الوقت.

ومن مظاهر العولمة في مجال الإعلام والإنترنت، فرنسا أنشأت بوليس اللغة الفرنسية، مثل بوليس الأموال والآداب، وهناك غرامة على من يُضبط من المسؤولين يستخدم الإنترنت باللغة الإنجليزية، واليونسكو هددت أنه في كل عام تختفي عشرات اللغات، ولو مشينا في هذا الطريق في عصر العولمة ستسود اللغة الإنجليزية، إن التحدي الأكبر هو أن نستغل العولمة في المحافظة، وانتصار اللغة العربية لكي تعود اللغة العربية بقوة لتصل إلى كل مكان في الكرة الأرضية.[40]

ولتحقيق أهداف البحث، تم التركيز على ثلاثة عناصر بالعملية التعليمية قد تقف حجر عثر في تعليم اللغة العربية، هي:

1- المقررات الدراسية:

نحن في الألفية الثالثة نحتاج إلى مناهج جديدة، فمناهجنا مع كل التطور الذي يحدث فيها تتباعد المسافة بينها وبين المتطلبات القادمة، ولقد آن الأوان أن يحدث تغير جدري في كلَّ مناهجنا، لم يعد التقسيم الاختزالي الذي تعودنا عليه قروناً عديدة والذي يقسم المعرفة – وهي أصلاً لا تتجزأ – إلى فروع وعلوم مختلفة، وأقسام جامدة، وشعب متناثرة، فضاعت في كثير من الأحيان النظرة الكلية وطمست المجالات البينية بين مختلف جوانب المعرفة؛ فوحدة المعرفة حقيقة لا مراء فيها، وجودة التعلم ضرورة لا بديل عنها وارتباط العلوم ببعضها ضرورة (استراتيجية) لا يمكن التغاضي عنها.

ولقد آن الأوان كذلك ونحن في إطار تقدم معرفي هائل، تتضاعف فيه المعرفة، أن نركز على مفاتيح المعرفة وقدرات البحث العلمي، وقدرات الوصول إلى المعلومات والبحث عنها وتنظيمها وتوظيفها، ولابد أن ترتبط المناهج بحاجة المجتمع، وعملية الممارسة فيها هي الأصل، والتجريب فيها هو الأساس، والمشاركة في البحث عن المعلومة وتنظيمها وتوظيفها وتطبيقها هي الجوهر الحقيقي للعملية التعليمية، ولابد أن ترتبط بتكنولوجيا العصر أكاديمياً وعملياً، وبالواقع وبحياة الناس اليومية ومشاكلهم وآمالهم، ولابد أن تكون المناهج في إطار عالمي وبمعايير عالمية، ولابد من المرونة في أساليب التعليم، والتنوع في طبيعة المناهج، وطرق التدريس، ومرونة في الجدول الدراسي.[41]

فما يؤخذ على مناهج تعليم اللغة العربية عمومًا عجزها عن بث الاعتزاز في نفوس الطلبة بلغتهم العربية والشعور بقوتها ومرونتها وجمالها وحيويتها وقدرتها

على استيعاب التطورات العلمية والتقنية الحديثة، كما يؤخذ عليها أنهَّا لا تولي اهتمامًا كافيًا بتنمية مهارات الطلبة اللغوية، وتعويدهم على ممارسة اللغة واستخدام مفرداتها وصيغها المكتسبة بشكل فعلي مباشر ممّا يساعد على تقويم ألسنتهم، وتصحيح أقلامهم، وتنمية قدراتهم ومواهبهم الكتابية والخطابية، وإثارة الحماسة فيهم لتعلم اللغة والبراعة فيها.

ومن منطلق النقد الموجه إلى مناهج تعليم اللغة العربية، فقد بدأت أصوات العلماء والتربويين تعلو مطالبة بعمليات شاملة من الإصلاح والتطوير لتلك المناهج، ليصبح أبناؤنا قادرين على التعامل مع الأسس الجديدة في هذا القرن التي تشتمل على مهارات اتصال وتواصل عالية.[42]

وعندما يكون الحديث عن تدهور حال اللغة العربية، وتراجع الاهتمام المجتمعي بها، وهي لغة الضاد «الأم» فإن أصابع الاتهام سرعان ما توجه إلى خلل المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية، وتخلفها عن مواكبة المتغيرات العلمية والثقافية العالمية من حولنا، فضلاً عن اعتبارها جزءاً من حالة عامة ترتبط بحالة الحراك الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المجتمع. ويمكن إيجاز السلبيات في:

1- افتقادها إلى عنصر التشويق، لعدم ارتباطها بواقع الطالب وحياته العملية وحاجاته ومتطلباته وظروف عصره.

2- افتقارها إلى الترابط، بحيث يسير تدريس كلّ مادة أحياناً بشكل مستقل عن المواد الأخرى، وهذا ما يبدد جهد الطالب ويفقده الإحساس بترابط جوانب اللغة وحيوية موضوعاتها.

3- إن بعض النصوص المختارة في هذه الكتب والمقررات لا تتلاءم مع المستوى العقلي واللغوي لناشئة هذا العصر.

4- إن كثير من المقررات الدراسية تتصف بالتقريرية التي يكتفي فيها بسرد الموضوعات، وشرح بعض النصوص وتفسير طائفة من الكلمات بشكل رتيب أو شكلي في الغالب.

5- اتصاف كثير من مقررات النحو والصرف بشيء من الجفاف والتعقيد والرتابة وعدم التركيز على الوظيفة الأساسية لعلمي النحو والصرف، من ضبط للكلمات وصيانة للسان من الخطأ في النطق، وسلامة الكتابة مما يشينها.

6- تقديم اللغة للطلاب في كتب منفرة لا تحبب الطلبة إلى ما يدرسون أو يقرؤون فيها.[43]

7- اختيار النصوص الشعرية التي لا تنمي الذوق والوجدان، وقد تنفر الدارس من استقبال اللغة العربية بشكل مناسب.

8- إساءة استخدام الوسائل التعليمية في تعليم النشء من معامل لغوية وصوتية ووجوب الاعتماد على الإسماع والاستماع والمشاهدة.

9- تقديم قواعد النحو العربي بصورتها القديمة الداعية إلى الحفظ والتلقين دون فهم واضح، أو انطلاق صحيح من أن الإعراب فرع المعنى، وإمكانية تعليم النحو من خلال النص.

10- غياب المكتبة اللغوية في المكتبات المدرسية ومكتبة الطالب، بما تتضمنه من معاجم اللغة بين البسيطة والكبيرة، بما يغريه بالعودة إلى المعجم، ومراجعة معاني المفردات، وإدراك السياق والتراكيب اللغوية، ومع معاجم مختارات من دواوين الشعر العربي ومصادره الأصلية.[44]

2- الطالب:

ضعف معظم الطلبة في التواصل باللغة العربية الفصيحة منذ المراحل الأولى من التعليم، حتى أنهم لا يأبهون لإتقان اللغة العربية الفصحى، لأنهم لم يجدوا من يحثهم أو يقنعهم بأهميتها ابتداء من الأهل ومروراً بالأساتذة، بالإضافة إلى اقتناعهم بصعوبتها، وهذا جعلهم يعانون من جملة الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية، ورداءة في الخط والكتابة، وركاكة في التعبير، ومشكلات في القراءة الجهرية، وقصوراً في الفهم والاستيعاب.[45]

وقد كثرت الآراء والأقوال حول أسباب عزوف الطلبة عن التخصص في اللغة العربية، فمن قائل إن الطلاب يقبلون_ في العادة_ على تخصصات تضمن لهم عملا ناجزاً من دون انتظار طويل في صفوف المتقدمين لوظائف في القطاعين العام والخاص، وتضمن لهم في الوقت ذاته عملا يجنبهم الحاجة إلى المادة، بل يدر عليهم في المستقبل القريب دخلا يضمن لهم الراحة النفسية والمادية معا. ومن قائل إن اللغة العربية تقصى بطريقة منهجية منظمة من الاستخدام في سوق العمل في القطاعين العام والخاص.

وتشير بعض استطلاعات الرأي السريعة بين طلبة الجامعات إلى أنّ المتخصصين في اللغة العربية يشعرون_ بصورة عامة_ بقدر من الدونيّة قياساً بدارسي

اللغة الإنجليزية أو بعض التخصصات الأخرى، لأن المجتمع الاستهلاكي ينظر إلى العلوم والمعارف والثقافة نظرة سطحية، ولا يغوص في الأعماق ليدرك أن الوعي والمعرفة والإدراك والثقافة ليست ألفاظا مجردة ينطق بها مستخدم اللغة في البيت أو المدرسة أو السوق أو العمل، وإنما هي أبعد من ذلك، إنها جوهر يتأتي أصلا باللغة الأم، وما اللغات الأخرى إلا وسيلة مساندة لاكتساب هذه المعارف والثقافات والعلوم.[46]

ويقول أحد أساتذة اللغة العربية: يزداد ألمنا أكثر عندما نرى أن اللغة العربية أصبحت من أبغض المواد الدراسية لدى الطالب، وهذا أمر له وقعٌ قاس على المشتغلين باللغة الذين تربطهم بهذه اللغة علاقة حب وثيقة.. لكن في حال التسليم بهذا الزعم فإن المسؤولية تقع على المؤسسات التعليمية التي يجب أن تضطلع بدورها الحيوي والمهم في سبيل صون هذه اللغة التي تعد أكثر لغات العالم ثراءً، ويستدرك بالقول: أودُّ الإشارة إلى أنَّ الطلبة لا يكرهون كل أُقسام اللغة بل يقتصر البعض على علم النحو نظراً لما يتخلله من صعوبة نسبية.[47]

3- المعلم:

إن علينا أن ندرك في إيمان وإصرار أنَّ المعلم هو صمام الأمان للحفاظ على المجتمع وما فيه من قيم، وهو الوسيلة الأولى والأساسية التي تستطيع أنْ تحول أهدافنا من التربية والتعليم إلى واقع ملموس، وهو القوة التي تستطيع أن تسمو بآمال المجتمع وأمانيه إلى عقائد وشعارات لا تلبث أن تصبح حقائق راهنة. ومن ثم يجب أن يعدّ هذا الرائد إعداداً كاملاً جاداً وعميقاً حتى يتمكن من أن يساعد الناشئة وذويهم على كسب المهارات المختلفة في المجالات والميادين المتعددة، كما يجب أن يوفر له العيش الهانئ المستقر، وأن يشجعه مادياً وأدبياً على النهوض بنفسه وتلميذه، وعلى المسؤولين أن يتابعوا عمله وجهوده حتى يتأكدوا من أنه يستطيع أن يطور قدراته العلمية والسلوكية والاجتماعية.[48]

نحن محتاجون إلى معلم، يتغير دوره تغيراً جذرياً من مالك للحقيقة المطلقة، ومن خريج مؤسسة كانت دائماً تهدف إلى تخريج موظفين، وعاملين يعملون في إطار نظم جامدة وخطوط طولية، يلتزمون بقواعد جامدة، وقوانين صارمة، ولا يخرجون عن النص والروتين، ووسطاء استراتيجيين بين المدرسة والمجتمع، ومحفزين لأبنائهم، يستنطقون ويستنهضون أحسن ما فيهم من قدرات وهمم، يكتشفون فيهم مواطن النبوغ والعبقرية والموهبة، معلم له من الخبرات التربوية، والثقافية المتنوعة، ومن قاعدته المعرفية العريضة، ومن إمكاناته الفكرية المرتفعة، ومن خبراته السياسية العريضة

ومن قدراته على التخيل، وعلى الحلم المسؤول، والتصور القائم على الإحساس بالمتغيرات.[49]

فمعلمي اللغة بشكل عام واللغة العربية بشكل خاص لا يلتزمون باللغة الفصيحة في إلقائهم الدرس ويستخدمون اللهجة العامية، أو لا يستخدمون العربية الصحيحة، ويعود ذلك في أغلبه إلى عدم إلمامهم بقواعد اللغة العربية وأصولها.

وضعف قدرة المعلم في استثارة الدافعية لدى الطلاب، وضعف قدرته في تنظيم أوجه النشاط الصفي تنظيما نفسياً ملائماً، بالإضافة إلى أن المعلم يركز جهوده على استخدام طريقة واحدة لتدريس مختلف فروع اللغة، وعدم اهتمامه بالتقويم المستمر أثناء الحصة ،مع عدم اهتمامه بالفروق الفردية للتلاميذ وتكييف طريقة للتدريس بما يتلاءم معها.[50]

وكذلك ضعف أداء معلمي اللغة العربية من حيث القدرة على التوصيل، وتشويق الطلاب لحصص الدراسة بها، وتفعيل دور الطالب في انتقاء الأمثلة والشواهد والتعليق عليها.[51] كذلك تدريس اللغة العربية إذا ما قارناها بغيرها من العلوم تتم بطريقة تقليدية، فإذا ما أدخلنا التقنيات الحديثة في التعليم كاستخدام أنظمة الحاسوب والأجهزة التقنية الحديثة، فعلى سبيل المثال ممكن أن تدرس علم العروض في المختبرات الصوتية.[52]

ثامناً- نتائج البحث:

بعد الاطلاع والبحث وتوزيع استمارة البحث، وتفريغ بياناتها يمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط التالية:

أولاً- وأقع أقسام اللغة العربية بالجامعات:

1- جميع الأساتذة الذين أجري عليهم البحث يلاحظون ضعف إقبال الطلاب على دراسة اللغة العربية بالجامعات.

2- أغلب أفراد العينة من الأساتذة يرون أن واقع أقسام اللغة العربية مريراً في الكليات.

ثانياً- العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية بالجامعات والمقررات الدراسية:

1- أكثر من نصف أفراد العينة يوافقون على أن اللغة العربية أصبحت مملّة في دراستها؛ بسبب المنهج الذي أصبح الطالب غير قادر على هضمه وفهمه، وأصبحت اللغة العربية ضيفا ثقيلاً على أهلها و دراستها مجازفة.

2- أغلب أفراد العينة يوافقون على أن غياب السياسات اللغوية الصحيحة في التعليم، والمنهج، وطرق تدريسه، وعدم مواكبة تطور المناهج التعليمية، ممّا أدى إلى تحول اللغة العربية إلى مادة مخيفة للطلاب.

3- 70% من مجموع أفراد العينة يوافقون على أن تعقيدات المنهج الذي لا يحمل في طياته أي معنى للوصول إلى الارتقاء، وصعوبة مادة النحو العربي، وعدم تدريسها بطرق جذابة، من أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية بالجامعات.

4- ما يقرب من جميع أفراد العينة يوافقون على أن صعوبة المناهج الدراسية، وطول المناهج دون التركيز على المهارات الأساسية الواجب على الطالب الإلمام بها وإتقانها، أحد أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة في أقسام اللغة العربية في الجامعات.

5- أكثر من نصف أفراد العينة يوافقون على أنَّ سوء تصميم المناهج التعليمية، لعدم بروز عنصر التشويق بها، وعدم ارتباطها وتكاملها بحياة الطالب وميوله ومتطلباته العصرية، من أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية بالجامعات.

ثالثاً- العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية بالجامعات والأستاذ:

1- إن 85% من مجموع أفراد العينة يوافقون على أنَّ قلة كفاءة الكوادر التعليمية أدى إلى تحول مقررات اللغة العربية إلى مقررات مخيفة للطلاب، والقصور في توصيل المعلومة للطلاب، والاعتماد على التلقين وليس التطبيق، وغياب مهارات الطلاب اللغوية وضعف مستوى كثير من الكادر التربوي وعدم إلمامهم بطرائق تدريس اللغة العربية ذات الخصوصية، أحد أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة في أقسام اللغة العربية في الجامعات.

2- جل أفراد العينة يوافقون على أنَّ معلم اللغة العربية مظلوم ضائع بين إحساسه بالواجب نحو لغته وأبنائه الطلبة، وقسوة مجتمعه عليه، فهو متهم دائماً بأنه السبب في ضعف أبنائنا في اللغة العربية. الكل عاتب، والكل لائم.

3- أغلب أفراد العينة يرون أنَّ عدم تنوع الطرق التي يستخدمها المعلم، وتدني معرفته بطرق التقويم المناسبة، هو سبب من أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة في أقسام اللغة العربية في الجامعات.

4- 88% من أفراد العينة يوافقون على أنَّ قلة استخدام الأنشطة الصفية والوسائل التعليمية التي تعين الطالب على فهم واستيعاب المساق بشكلٍ أفضل، أحد أسباب عزوف الطلاب عن الدراسة في أقسام اللغة العربية في الجامعات.

رابعاً- العلاقة بين عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية بالجامعات والطالب:

1- أغلب أفراد العينة يوافقون على أنَّ الطلاب يقبلون في العادة على تخصصات تضمن لهم عملا ناجزاً من دون انتظار طويل في صفوف المتقدمين لوظائف القطاعين العام والخاص، وتضمن لهم في الوقت ذاته عملا يجنبهم الحاجة إلى المادة، بل يدر عليهم في المستقبل القريب دخلا يضمن لهم الراحة النفسية المادية معا، وهذا بدوره يؤدي إلى عزوف الطلبة عن الدراسة في أقسام اللغة العربية.

2- 82% من مجموع أفراد العينة يوافقون على أنَّ اللغة العربية تقصى بطريقة منهجية منظمة من الاستخدام في سوق العمل في القطاعين العام والخاص، وإن عملية إحلال واسعة منظمة للغة الإنجليزية أو الفرنسية تجري في الواقع.

3- أكثر من نصف أفراد العينة يوافقون على أنَّ المتخصصين في اللغة العربية يشعرون_ بصورة عامة_ بقدر من الدونيّة قياسا إلى دارسي اللغة الإنجليزية أو بعض التخصصات الأخرى؛ لأن المجتمع الاستهلاكي ينظر إلى العلوم والمعارف والثقافة نظرة سطحية.

4- 71% من مجموع أفراد العينة يوافقون على أنَّ ضعف الطلاب في الكتابة والتحدث بالعربية الفصيحة، وتمكن الشعور لديهم بصعوبة العربية واللاجدوى من تعلمها، يؤدي إلى عزوف الطلاب عن الدراسة بأقسام اللغة العربية بالجامعات.

5- إن 97% يوافقون على أنَّ نقص الوعي لدى الطلاب بأهمية اللغة العربية، وقلة اهتمام الطلبة في إدراك المهارات الأساسية اللازمة لتعلم اللغة العربية وعدم إبداء الرغبة في ذلك يؤدي إلى عزوف طلاب الجامعة عن الدراسة بأقسام اللغة العربية.

التوصيات والمقترحات:

1- الاهتمام باللغة العربية وأقسامها، من خلال وضع خطط مدروسة من قبل وزارة التعليم والجامعات.

2- إعادة النظر في المناهج المقررة بأقسام اللغة العربية بالجامعات، من حيث الكم والنوع، وجعلها تواكب تطورات العصر، وواقع الحياة، وعرضها بطرق مشوقة.

2- الاهتمام بأساتذة اللغة العربية وتشجيعهم مادياً ومعنوياً، وإعدادهم نظرياً وأكاديمياً، وتدريبهم على استخدام الوسائل التعليمية الحديثة.

3- توعية الطلاب بأهمية اللغة العربية، وفتح دورات تقوية لهم من السنوات الأولى، وتشجيع خريجي اللغة العربية مادياً ومعنوياً، من خلال ميزات خاصة علمية ومالية.

4- عقد مزيد من المؤتمرات والندوات والمحاضرات حول اللغة العربية، والتحديات التي تواجهها.

المراجع

1- محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 2005م، ط1، ص19.

2- سالم مبارك الفلق، 24 ديسمبر 2019،https://www.noor-book.com.

3- أحمد بن عبد الله الباتلي، أهمية اللغة العربية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1412هـ، ص5.

4- محمد أبوستة وآخرون، تحديات – معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة جامعة قسنطينة بالجزائر، مجلة الأدب، العدد (13)، ص185.

5- لطيفة النجار، اللغة العربية في جامعاتنا العربية،

-2007-05-02https://www.albayan.ae/opinions/.

6- هديل عادل، للغة العربية تنطق بآلامها في جامعة الإمارات،

http://www.alkhaleej.ae/supplements/.

7- عبد الله التطاوي، في الطريق إلى المشترك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م، ص239.

8- الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، ص420.

9- أحمد سويلم، ثقافتنا في مفترق طرق،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1424هـ- 2004م، ص ص19-47.

10- محمد الخطيب، مرجع سبق ذكره، ص41

11 - هيام الملقي، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الضاري، دار الشوّاف، الرياض، 1415هـ-1995م،ط1، ص226.

12- نور الله كورت وأخريات، اللغة العربية- نشأتها ومكانتها في الإسلام- وأسباب بقائها، ص 137-، https://dergipark.org.tr/tr/download/article

13- أحمد بن عبد الله الباتلي، مرجع سبق ذكره، ص4.

14- سورة يوسف، آية (2).

15- دينا الحامد، أهمية اللغة العربية الفصحى، 19 يونيو 2018، https://mawdoo3.com.

16- سالم مبارك الفلق، مرجع سبق ذكره، ص7.

17- إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ط1، ص5.

18- سالم مبارك الفلق، مرجع سبق ذكره، ص7.

19- سورة النحل، آية (103).

20- مراد الشوابكة، ٢٤ يناير ٢٠١٨، أهمية اللغة العربية ومكانتها، https://mawdoo3.com.

21- سالم مبارك الفلق، مرجع سبق ذكره، ص7.

22- فرحان السليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، 14 ديسمبر 2016، https://www.noor-book.com.

23- محمد الجوهري حمد الجوهري، الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1998م، ص43.

24- مراد الشوابكة، مرجع سبق ذكره.

25- عشوش صليحة، اللغة العربية التحديات والحلول، مذكرة مكملة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، الجمهورية الجزائرية، 2014/2013 م-1436/1435 هـ، ص8.

26- محمد أبوستة وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص198.

27- آلاء جابر، ٢٠ أغسطس ٢٠١٨، مفهوم اللغة العربية لغة واصطلاحاً، https://mawdoo3.com.

28- نورا لله كورت وأخريات، مرجع سبق ذكره.

29- كتابة شهيرة دعدوع، 10 سبتمبر 2018م، مفهوم اللغة العربية، https://mawdoo3.com.

30- عشوش صليحة، مرجع سبق ذكره، ص10.

31- عبد الله التطاوي، مرجع سبق ذكره، ص239.

32- أحمد مجدي حجازي، العولمة بين التفكيك وإعادة التركيب، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2005م، ص27.

33- عشوش صليحة، مرجع سبق ذكره، ص11.

34- السيد محمد الديب، قضايا ثقافية، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الرابعة الكتاب الأول 1430هـ-2009م، الهيئة المصرية العامة، القاهرة. ص17.

35- حسين كامل بهاء الدين، الوطنية في عالم بلا هوية (تحديات العولمة)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2000م، ص 127.

36- مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، مشكلة الثقافة، دار الفكر،دمشق، 1427هـ-2006م، ط12، ص117

37- عبد الله التطاوي، مرجع سبق ذكره، ص237.

38- محمد على حافظ، مستقبل الشباب العربي، دار المعارف القاهرة، 1963م، ص276.

39- عشوش صليحة، مرجع سبق ذكره، ص ص28-30.

40- محمد نور، أثر العولمة في حياتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2006، ص ص47-110.

41- حسين كامل بهاء الدين، مرجع سبق ذكره، ص ص 132-136.

42- صالح بن عبد العزيز النصار، ضعف الطلبة في اللغة العربية، المؤتمر الدولي للغة العربية، (المجلس الدولي للغة العربية)،بيروت، من 19 إلى 23 مارس 2012م، ص14.

43- وهيبة السيد الشينتي، الاستثمار في اللغة العربية على مستوى التعليم العام، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية،https://www.alarabiahconferences.org/wp-content/uploads/2019/09/conference_research.

44- عبد الله التطاوي، التعليم قضية مجتمع ومستقبل أمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م، ص78.

45- عشوش صليحة، مرجع سبق ذكره، ص32.

46- لطيفة النجار، مرجع سبق ذكره.

47 - أمل عبده الجندي، نشر بتاريخ: 2014-03-05، اللغة العربية في المدارس، http://www.noqta.info/page-66870-ar.html

48- محمد على حافظ، مستقبل الشباب العربي، دار المعارف القاهرة، 1963م، ص276.

49- السيد محمد الديب، مرجع سبق ذكره، ص128.

50- عشوش صليحة، مرجع سبق ذكره، ص32.

51- عبد الله التطاوي، التعليم قضية مجتمع ومستقبل أمة، مرجع سبق ذكره، ص78.

52- محمد أبوستة وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص188.